

الحضارة والتقدم التكنولوجي عند توينبي

*Civilization and Technological Progress According at Toynebee*يعقوب مختار¹

جامعة محمد بن أحمد وهران 02

aboulhocen@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/20 القبول 2023/07/25 النشر على الخط 2024/01/15
Received 20/04/2023 Accepted 25/07/2023 Published online 15/01/2024

ملخص:

يراهن توينبي Toynebee في استقصائه عن علاقة التقدم التكنولوجي بالارتقاء الحضاري على نتائج تقدم العلوم دون عقاب يوجهها، تلك النتائج التي تشهد على فظاعة التحول من الروحي إلى المادي سواء بالنسبة إلى الإنسان أو الكون الكبير، والتي تعطي صورة لفردوس أرضي يحترق ويتلاشى أمام أعيننا، وينبئ بنهايات مدمرة للحياة بمكوناتها، كما يراهن على الأحداث التاريخية التي أثبتت في كل عصر من عصورها أن الارتقاء المادي يعطي انطبعا خاطئا وينتج هالة من سراب الخلود للحضارة التي تكون في حالة سكون، وهو في واقع الحال يكون ارتقاء على حساب التقدم الحضاري للمجتمعات و رفاهها و ردة في نفس الوقت لمقاييس الحضارة.

الكلمات المفتاحية: حضارة، مجتمع، تقدم مادي، تقنية.

Abstract:

Toynebee, in his investigation of the relationship of technological progress with civilizational advancement, bets on the results of the progress of science without guiding it, those results that testify to the horror of the transformation from the spiritual to the material, whether for man or the great universe, and which give an image of an earthly paradise burning and fading before our eyes, and foretells the devastating ends of life With its components, and betting on the historical events that have proven in each of its eras that material advancement gives a false impression and produces an aura of mirage of immortality for a civilization that is in a state of rest. standards of civilization

Keywords: Civilization, society, material progress, technology.

1. مقدمة:

لا ريب أن التقدم التكنولوجي والمادي جعل حياة الناس أكثر سهولة ويسرا، وقد أظهر الإنسان منذ بداياته الأولى ميلا إلى هذه الأساليب التكنولوجية التي تزيد من كفاءته وفرصه من أجل البقاء؛ من الأدوات الحجرية بادئ الأمر التي استعان بها في القنص والصيد إلى ما لم يكن يحلم به السلف الأول لإنسان اليوم الذي باتت التكنولوجيا تلعب الدور الأهم في حياته؛ فلا أحد يستطيع أن ينكر أن تلك المهارات والتقنيات التي أتاحتها التقدم التكنولوجي جعلت فرص الإنسان تتضاعف في الحصول على تعليم راق و رعاية صحية ممتازة إضافة إلى تقليل الجهد وتوفير الوقت فيما له صلة مباشرة بحياة الفرد والمجتمع، بيد أن كثيرا من الباحثين اليوم ينظرون إلى التقدم التكنولوجي والتقني نظرة ريبة وتخوف ويتحاملون عليه لأسباب مبررة ومنطقية، ولم يعد الأمر محصورا بالنظر إليه مثلما كان قبل عقود قليلة على أنه المنقذ للبشرية، وإن كان قبل اليوم سلاحا ذو حدين فقد أضحى النصل الأمضى قطعاً وجرحاً هو الغالب الذي يعمل في الحاضر في جسد الحضارة تشويهاً وقطعا الحضارة التي لا تعني في مجموعها زيادة في التقدم المادي فحسب، بل مصحوبا في المقابل بالتقدم الروحي من أجل ضمان الأمن والرخاء للبشرية، وإن واقع الحال اليوم يميل إلى التشاؤم من الاستخدام المفرط للتكنولوجيا التي كانت سببا مباشرا في ازدياد حدة المشكلات التي باتت تعيشها الإنسانية من مخاطر الذكاء الاصطناعي و تغير المناخ و نذر الحروب النووية، وقد أدلى توينبي برأيه في هذه المسألة منذ ما يزيد عن نصف قرن من الزمان مسترشدا بالأحداث التاريخية والدورة الحضارية للأمم والمجتمعات التي يدعونا إلى استخلاص العبر منها، مستعينين في ذلك بالمنهج التحليلي لتحليل النصوص الأصلية لتوينبي، والمنهج التاريخي للوقوف معه على الشواهد التاريخية للأمم والحضارات التي تدحض رأيا وتدعم آخر، وأن نتساءل معه بكل واقعية، هل يمكن للتكنولوجيا أن تزودنا بقاعدة مناسبة للارتقاء الحضاري الحقيقي؟ هل ثمة قرينة على وجود علاقة بين التقدم التكنولوجي والتقدم الاجتماعي؟.

2. صنوف الارتقاء الحضاري أو التقدم في التاريخ

1-2 وهم التقدم المادي كمسلك للارتقاء

سراب الخلود:

تلك هي العبارة التي استهل بها توينبي عناوين فصول الجزء الثالث من كتابه دراسة للتاريخ، فالصدمة التي أحدثها سقوط روما عام 410م في نفوس مواطنيها الذين توهموا لأجيال عديدة خلود دولتهم العالمية، هي شبيهة بالصدمة التي حلت بالمسلمين عند سقوط بغداد في أيدي المغول سنة 1258م، ولم تشفع أشعار هوراس Horace، شاعر البلاط الروماني الذي رأى خلود إمبراطوريته كخلود فصول الدورة السنوية، فخلدت أشعاره ولا تزال كما يذكر توينبي ترددها شفاه الناس إلى يومنا هذا لكن لم يكتب الخلود لدولته.

وربما كان التقدم التكنولوجي في عصرنا ينتج هالة من الخلود الخادع شبيه بالانقياد الأعمى وراء نفس السراب فيما مضى من قبل الرعايا الرومانيين، ويرجع توينبي كل هذا إلى الاعتقاد خطأ بفكرة وحدة الحضارة. ومغزى هذه الفكرة " ومبناها أنه لا يوجد واحد وعشرون نموذجاً حضارياً مميزاً؛ ولكن حضارة واحدة فحسب هي الحضارة الغربية، وما نظرية وحدة الحضارة هذه إلا رأي خاطئ...أوحى به مظهر الحضارة الغربية الخداع، إذ استطاعت في العصور الحديثة أن تلقي شبكة نظامها الاقتصادي على جميع

أنحاء العالم وتلا توحيد العالم اقتصاديا على أساس غربي، توحيدة سياسيا إلى نفس المدى تقريبا وعلى نفس الأساس الغربي"¹، ومردّ كل هذا يرجعه توينبي إلى وهم التقدم كشيء يتحرك في خط مستقيم، فالمؤرخون الذين يقولون بوحدة الحضارة يرون أن التاريخ سلسلة واحدة تتفق كل نهاية حلقة ببداية دورة أخرى كأجزاء العصا المتصلة بعضها ببعض، وإن استطارة الحضارة كما يسميها توينبي -تعبير عن شيوع النموذج الغربي عالميا - ليس فيه دليل على تفرد وإبداع حضارة ما كل شيء.

يستدل توينبي بما كتبه فريمان عام 1973م أنه " ليس هناك أدنى شك في أن كثيرا من أهم المخترعات الأساسية للحياة المتمدنية، قد اخترع مرة و أخرى في عصر وفي بلاد بعيدة عن بعضها. و ذلك لأن أمة مختلفة كانت قد وصلت إلى مراحل خاصة من التقدم الاجتماعي التي تدعو الحاجة فيها لأول مرة إلى هذه المخترعات، ومصداقا لذلك اخترعت الطباعة على حدة في كل مكان في الصين و أوروبا"²

وأفادنا علم الآثار والتاريخ أن اكتشاف النار والكتابة إضافة إلى علوم الحساب وتدجين النباتات والحيوان لا ترتبط كلها بأصل معين كما يخبرنا برودويل، بل غدت كلها ثروة ومنفعة للجماعة الإنسانية وللحضارات المتعاقبة.

لكن السمة البارزة في علمنا المعاصر أن صناعة التقنية كانت مبدأ الأمر نتاجا غربيا بامتياز، وذيوعه بصورة صارخة أمر لا يبعث على الاطمئنان، فمنها ما هو في صالح البشرية، وبالطبع فإن الكثير منها دافع من دوافع سيطرة الغرب على العالم، " ولن يكون سهلا في عصرنا اليوم بما اتسم به من سرعة التداول وانتشار العلاقات والأنباء والمعلومات وقف سرعة انتشار المزايا التي تتيحها كل ساعة وكل يوم حضارات الأمم والشعوب وتقدمها"³

وبالمقابل مساويها أيضا؛ فقد تمكّن العالم الغربي بفضل هذا النظام العالمي أن يستولي على $\frac{4}{5}$ ثروات العالم الذي لا يمثلون من تعداده إلا خمسة.

إن هذا الانتصار على البيئة المادية في عصرنا أعقبه حدوث تغيّرات تحوّلت نفسها بمرور الزمن إلى تحديات داخلية، وإن هذه الثورة التكنولوجية أبرزت في المحيط الاجتماعي حشدا ذا سمعة سيئة من المشكلات، " ذلك العدد الهائل من العلائق التي لا توصف، والتي تبعثها أي حضارة داخل أشيائها و أفكارها من جانب، وبين هاتين المجموعتين والإنسان من جانب آخر"⁴ ولقد عدّد كثير من الباحثين مساوئ العصر الصناعي المتأخر، الذي لا يزال يعاني الإنسان من مشاكله منذ ما يزيد عن القرن من الزمان؛ مثل تشغيل الأطفال وساعات العمل وانخفاض الأجور والاستغناء بالآلة عن الإنسان، إضافة إلى المخاطر الصحية والنفسية التي تتهدد العمال وغيرها من المشاكل التي لم تشفع القوانين والشرائع في الحدّ منها فضلا عن القضاء عليها.

أمل الإنسان أن تكون قوته متمثلة في العلم والتكنولوجيا قادرة على احتواء مخاوفه من انتشار الرعب النووي، وأن يدرأ شبح المجاعة العالمية، وأن يؤدي إلى تحسين الرعاية الصحية والسيطرة على الفيروسات والأمراض والمستعصية، و إيقاف تلوث البيئة، غير

¹- توينبي أنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، تر فؤاد شبل محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص67.

²- المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

³- برودويل فرناند، تاريخ وقواعد الحضارات، تر حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص07.

⁴- بن نبي مالك، شروط النهضة، تر عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1986، ص43.

أن الوسائل العصرية لم تنجح في ردع سير الأمور نحو الأسوأ " فما يَحْيِبُ الآمال أن نجد أن التكنولوجيا نفسها في خطأ متزايد . لقد أدت الرعاية الصحية و الطبابة إلى زيادة مشكل السكان حدة، واكتسبت الحرب مصدرا جديدا للرعب ناجما عن اختراع الأسلحة النووية و باتت أفانين البحث عن الترف والسعادة مسؤولة إلى حد كبير عن التلوث، وكما قال **لنكتون**: كل مصدر جديد زاد الإنسان به قوته على الأرض استخدم في تقليل فرص أحفاده للاستفادة من إمكانات المستقبل، لقد كان كل تقدم أحرزه الإنسان يتحقق على حساب خراب بيئته، وهو خراب لم يتوقعه ولا يمكن إصلاحه"¹

إن الإنسان هو محور الحضارة وأساسها، ولا نستطيع الحديث عن الحضارة في ظل امتهانه والنزول به في الدرك الأسفل من الاهتمامات، والحق الذي يجمع عليه الكثير اليوم أنه لم يعد للوجود الإنساني قيمة في عصر التقنية الذي نعيشه، وبلغ الإنسان من التفاهة والابتذال ما لم يبلغه عبر سالف الأزمان.

يتساءل غارودي " إلى أي زمن يعود خطأ التحول الذي قادنا إلى هذا القلق وإلى هذا الضلال؟ لم أشر بما يكفي لتزايد البطالة و العنف. وكما كتب مارلو: حضارتنا هي الأولى في التاريخ، التي إذا طرح السؤال الأهم: ما معنى الحياة؟ أجابت : لا أعرف، على مدى القرن، فشلت كل الإجابات"²

لقد فتحت الحضارات السابقة لحظات صحوة للإنسانية يختلف تماما عن المستقبل التي باتت الحضارة الغربية المعاصرة تطرحه أمام الإنسانية، والتي أهدرت القيمة الإنسانية على نحو قل أن نجد نظيرا له في التاريخ، حيث أصبح وجوده و أضحت حقوقه لا تصان إلا بالقدر الذي يسمح به جهده المضاعف وكفاحه من أجل العيش أو الإنتاج، وفيما عدا ذلك فهو يعامل بنفس القسوة التي يعامل بها الجماد، إنه شبيه به كمورد يستفاد منه إلى حين استنفاد طاقته وعصارة شبابه وفورته، فإذا ما استهلك جميع ما فيه لفظ كما تلفظ التّوأة.

وربما يسيء بعضنا فهم التّقدم على أنه يختص بالتقدم التقني والآلي، بل نعني به التقدم المادي والثقافي معا، ونحن على يقين أن كلّ الشّور التي تترّص بالإنسان من أزمات اقتصادية خانقة و مشاكل الهجرة واللجوء التي تختلف عن هجرات الشعوب الأولى الممتزجة بروح المغامرة والتحدي التي تحدث عنها توينبي في المباحث الأولى من سلسلته دراسة للتاريخ، ونذر الحروب المستعرة في كلّ مكان، وانعدام الاستقرار في الحياة والتهديدات البيئية الخطيرة التي كانت لا تعار أدنى اهتمام بها إلى وقت قريب و باتت اليوم تفرض نفسها بالقوة، و أنواع الفيروسات القاتلة المستجدة والحديث عن القنابل الجرثومية والأسلحة البيولوجية كلّ هذا وغيره يتّصل أيا ما اتصال بالتّطور والتّحول الصّناعي السريع الذي عرفه عصرنا.

ولعلّ هذا ما جعل **شينغلر** يكثر من الحديث عن العنصر المفقود في البناء الحضاري الذي عبر عنه **جيتته** والذي لا يخفي إعجابه به في ثنايا سفره حين يقول " كل تقدم مادي لا يرافقه تسام روحي أمر يندر بالخطر.. إن عصرا تسود فيه الآلية البحثية وينعدم فيه الابتكار الفني والفلسفي وتسيطر عليه الاتجاهات اللادينية لهو عصر تدهور واضمحلال"³، فهل توجد مقولة أصدق

¹ - سكينر ب-ف، تكنولوجيا السلوك الإنساني، تر عبد القادر يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980، ص06.

² - غارودي روجيه حفارو القبور، ط3، تر عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، 2002، ص08.

³ - صبحي أحمد محمود، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص257.

تعبيرا عن حياتنا اليوم تضاهي هذه المقولة، ولعلّ في هذا العذر الكافي لأولئك الذين يحملون على هذا العصر ويعتبرونه فترة انحطاط للتاريخ الإنساني بأكمله.

" لقد استحال الكيف إلى كم، ، لقد استحالت الوسائل إلى غايات..لقد كان النقد وسيلة للتبادل ولكنه استحال إلى غاية، فأصبحت قيمة كل شيء تقاس بالنقد..و بعد أن كان الإنسان ثريا لأنه قوي، أصبح قويا لأنه ثري..ولقد وجدت الآلة لتكون وسيلة لسعادة الإنسان، ولكنها بدورها استحالت إلى غاية فخضع كل شيء للآلية وأصبحت الآلية طابع المدنية الحديثة، وأصبح كل شيء يقاس بقوة الأحصنة لا بالقوة الروحية"¹

ولو اعتبرنا استشراف المستقبل لونا من ألوان الحكمة لقلنا أن جميع العابرين في الحياة التي غدت قصيرة بفعل التقنية أصبحوا كلهم حكماء، سائل من شئت اليوم من هؤلاء، كيف يتراءى لهم المستقبل ليس القريب فحسب بل البعيد؟ ستدرك حينها كيف غدا الناس جميعهم حكماء، حيث لا يخرجون عن الصواب إلا لما فهم في اجتماعهم وأثناء سيرهم لم يعودوا يتطلعون إلى البنيان ولا يرون في الشوارع التي كانت تستهويهم بالماضي القريب إلا جدرا تتهاوى، إنّ الحضارة بأكملها قد أصبحت مجرد أكوام. إنّ هؤلاء وإن أقروا بأن غسق الظلمات قد لفّ العالم من كل الجهات، لا يتصرفون وفق ما انتهى إليه استنتاجهم، ولا يهتمهم إذا ما التقطوا شاشة تلفاز أو إشارة الأنترنت أن يفكروا مرة أخرى بنفسية الحكيم، وهم على هدي من نفوسهم أنّ مثل تلك التكنولوجيات باتت تشكّل وعيهم وتدخلهم مرحلة من اللاوعي وعدم الإدراك، وإنّ مثل هذه الوسائل قد غدونا مجمعين على أنّنا عن قصد لم نعد نخصّص لها الوقت الكافي لتدارك مخاطرها أو معرفة تأثيرها الذي أصبح واضحا للعيان على ناشئتنا وفلذات أكبادنا.

بل حتى في مسألة التبرير في الفضاء العام تغدو التقنية كما يصرح برنارد بيوندوت تخلق الحقيقة على نحو للوعي العفوي عن طريق "كشف ما هو مخفي بالضرورة عن أعين الرجل في الشارع، ومن ثم إعطاؤه الوسائل لفهم الحقائق التي يمر بها"² وأشار بعض الباحثين أن مثل هذه التعديلات لم تعد تزعم الكثيرين منا، بل في الحقيقة جرى التكييف معها بمرور الوقت بسهولة إجمالا، فحين نحصي فوائدها في الكشف عن المجرمين أو الفاسدين نبتهج لذلك، ونتغاضى عن قصد حين نواجه منها الاجتياح المفرط لخصوصيات المجتمع وحسنه الأخلاقي، بل استهجاننا و تمرّدا قصير الأمد ، وتخبو حدّته مع طلوع فجر اليوم الموالي، في مشاعر يغلب عليها التّحدر والتّبدّل.

"ذلك التبدل لحسننا النقدي يمثّل بنظري تطورا هاما يثير بالغ القلق.. يمكننا أن نعاين عن كثب آلية المصيدة: تصاعد حدة التوترات المرتبطة بالهوية يسبب لنا مخاوف مشروعة، تحملنا على البحث عن الأمان بأيّ ثمن، لأنفسنا وأحبائنا، وعلى توخي الحذر كلما شعرنا بالتهديد. و لذلك، إننا أقل يقظة بالنسبة إلى الانتهاكات التي قد يفرضي إليها هذا الموقف المتيقظ، أقل يقظة عندما

¹- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - Bernard Billandot, société économie et civilisation, EMSHA, paris nord, 2021, p563.

تتعدى التكنولوجيا على حياتنا الخاصة، و أقل يقظة عندما تعدّل السلطات القوانين وتضفي عليها منحى أشد سلطوية واستعجالاً¹

إن الظلال التي انعكست من التقنية لم يسلم منها حتى الباحثون عن النور في العزلة، فبحكم اختلاطهم لثوان وإجالة أبصارهم في دنيا الناس اليوم يكونون قد حملوا أفكارا يجدون ظلالها في رحلة بحثهم عن النور؛ النور الذي يحاول عبثا المخلصون عبر نبرات أصواتهم الباهتة - في عالم تتعالى فيه ضوضاء المدنيّة وصخبها- أن يبلغوه مسامع الناس وأفئدتهم، ولقد عبّر مالك بن نبي عن هذه الحالة بنشيد رمزي رائع حين يقول:

"ها هم الآن ينصبون على باب المدينة التي تستيقظ السوق وملاهيه، لكي يميلوا هؤلاء الذين جاؤوا على إثرك ويلهوهم عن نداءك. وها هم قد أقاموا المسارح والمنابر للمهرجين والبهلوانات لكي تغطي الضجة على نبرات صوتك.

وها هم قد أشعلوا المصابيح الكاذبة لكي يخبوا ضوء النهار. ولكي يطمسوا بالظلام شبحك، في السهل الذي أنت ذاهب إليه. وها هم قد جمّلوا الأصنام ليلحقوا الهوان بالفكرة"²

وإنما المفارقة التي يحملها هذا العصر من امتلاكه للوسائل الكفيلة بإنقاذ البشرية من جميع الويلات التي تحيق به، وانطلاقه في الآن ذاته في اتجاه معاكس في انحرافات تبعث على القلق من مصير مشؤوم، فإن التقدم الذي يضمن رخاء الكوكب هو نفسه كما يوضح أمين معلوف يهدّد بإفناء كل ما بناه الجنس البشري حتى الآن، بل كل ما عهدنا تسميته ب'الحضارة'.

"كيف انتهى بنا المطاف إلى هنا؟ إنه سؤال أطرحه على نفسي كلما واجهت اختلاجات هذا القرن المشؤومة. ما الذي حاد عن مساره؟ ماهي المنعطفات التي كان لا يجب سلوكها؟ هل كان في المستطاع تجنّبها؟ و اليوم، هل من الممكن بعد التحكم بالدفة؟"³. وهو إذ يستعير مفردات بحرية فإن أمين معلوف يحاول من خلالها رسم تلك الصّورة التي باتت تقصّ مضجعه منذ سنوات، صورة الغرق؛ غرق الحضارات.

وربما كان اصطلاح غرق الحضارات فيما مضى كناية عن التدهور والاضمحلال لكنّه في وقتنا الحاضر يستعمل فيما يعنيه اللفظ حقيقة لا مجازاً، حيث إن البشرية في اندفاعها المسعور نحو الاستغلال الأقصى لموارد الطبيعة قد دفعت الكون الكبير إلى حافة الانهيار أيضاً، وباتت التّحديات البيئية ومخاطر التلوث تهدّد وجودها على ظهر هذه البسيطة، وإن التحدي ليتعاضم بصورة لم يشهد الإنسان مثيلاً لها منذ أن خطا خطواته الأولى نحو السيطرة على الطبيعة. و ربما هربت الحضارات القديمة والشعوب على أطراف نجاة نحو مكان آمن، لكن أكثر الأماكن أمناً في الكوكب والتي تعدّ مصدراً رئيساً لنجاة الإنسان في حال أعوزته الحاجات الضرورية لبقائه قد اقتربت من حافة الانهيار.

إنّ الأتجار الجليدية خزان المياه العذبة لا تكفّ عن الذوبان، والمحيط القطبي الشمالي الذي لم يكن يمكن عبوره منذ آلاف السنين طوال فصول السنة، قد غدا سالكا لطرائق الملاحة في أشهر الصيف، وانفصال الكتل والجبال الجليدية في القطب الجليدي

¹- معلوف أمين، غرق الحضارات، ط1، ترخلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، 2019، ص299.

²- بن نبي مالك، مرجع سابق، ص18

³- المرجع نفسه، ص17.

الجنوبي أضحى مشهدا مألوفا كل يوم، والكوارث الطبيعية العنيفة بفعل الاحتباس الحراري و جفاف الأنهار والمستنقعات تعطي صورة لفرديوس أرضي يحترق ويتلاشى أمام أعيننا؛ بوادر بنهايات مدمرة للحياة بمكوناتها شبيهة في شدتها بطوفان نوح الذي عم الأرض كلها، إلا أن نوحا عليه السلام أمره صاحب الأمر أن يسلك في سفينة النجاة من كل زوجين اثنين للدلالة على حاجة الإنسان الدائمة للتنوع البيئي وشرطا لوجوده واستمراره.

أما الحضارة الغربية المعاصرة فأصدق وصف قيل فيها ما عنون به روجيه غارودي أحد كتبه حفارو القبور؛ الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، وعلى ما يبدو فإن شواهد القبور التي ذكرناها كافية للتدليل على فظاعة التحول من الروحي إلى المادي ولنا أن نتخيل كيف ستكون نتائج تقدم العلوم دون عقول يوجهها على الإنسان و على الكون الكبير في المستقبل المنظور والقريب. أمام هذه الأزمة العميقة والتحديات الخطيرة التي باتت تهدد النوع الإنساني، والتي ربما لم يكتب لتويني بعد 47 سنة فقط بعد وفاته أن يشهدها، فما ستشهده الأجيال بعد 50 سنة من كتابة هذه السطور حدث جلل لا يستطيع أي عقل حصيف أن يتنبأ به، إذا لم يعد بناء تلك الجسور التي هدمتها الحضارة الغربية المعاصرة بين العلم والدين، وقد ارتأى توينبي أن يرمي طوق نجاة متمثلا في العودة إلى الدين إلى ما هو روحي للحضارة التي توشك أن تغرق في ثالتها حتى الموت.

3- ارتقاء عن طريق إخضاع البيئة المادية:

تحت ظل هذا العنوان سنبحث رفقة توينبي في كرونولوجيا التقدم المادي لبعض الحضارات وسنقف معه عند المحطات التي كانت سببا مباشرا في انهيار تلك الحضارات وتحللها بفعل التقدم المادي الذي يظهر توينبي الوجه الآخر له بداية بالتقسيم المعهود لمراحل التكنولوجيا حسب الابتكارات الخاصة بكل عصر، لنجد في نهاية البحث الإجابة عن تساؤلنا بشأن جعل التقدم المادي والتكنولوجي معيارا وشرطا وحيدا للتقدم الاجتماعي أو للحضارة بوجه عام، إذ الحضارة والمجتمع يردان عنده بمفهوم واحد في سلسلته دراسة للتاريخ.

يخبرنا توينبي أن علماء الآثار يسلمون بوجود هذا الترابط، ودليلهم على هذا هو تصنيف ابتدعه، يفترض سلسلة في مراحل التقدم المادي التكنولوجي، وتعتبر الأخيرة مؤشرا على تعاقب في فصول ارتقاء الحضارة ويصبح الارتقاء بهذا المنظور متميزا بالطابع التكنولوجي الخاص بكل عصر؛ العصر الحجري القديم، العصر الحجري الحديث، عصر النحاس، البرونز، الحديد، وأخيرا عصر الآلة؛ عصرنا الحالي.

وهذا التصنيف لتلك العصور هو ما تم تلقيه لنا في المراحل المتوسطة للتعليم، فهل في مكنتنا أن نوافق على ادعائه تمثيل مراحل ارتقاء الحضارة، برأي توينبي فإنه مما لا شك فيه أن طريقة التبويب والتقسيم تثير الريبة " ارتيابا مبعثه شيوعها ذاته. لأنها تتفق مع تصورات مجتمع غدت تفتنه انتصاراته التكنولوجية الحديثة، كما أنها مثل واضح لاتباع الدارس ليصبح عبدا لمواد معينة للدراسة ألقت بها الصدفة بين يديه، فإنه من قبيل الصدفة المحضة - من وجهة النظر العلمية - أن تظل أدوات إنسان ما قبل التاريخ التي صنعها لنفسه باقية، في حين فنيت أجهزته الروحية، أي نظمه وتقاليد¹

¹ - توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص323.

بيد أن الواقع يفيد بأن الآثار المادية التي أقيم هذا التصنيف على أساسها، إنما كان ثمرة لما أداه الجهاز العقلي في حياة البشر، دور كان أوسع مما يؤدّيه أيّ جهاز مادي، في حين أن عالم الآثار تقتصر مهمته على دراسة البقايا المادية للإنسان التي يخلفها وراءه، فيما يغيب دور الجهاز الروحي ويطويه النسيان، ومن هاهنا تعطى الأولوية للإنسان العامل على حساب الإنسان المفكر. من هنا كان الدليل النظري على أن "الحضارة وهي في حالة سكون تعطي انطبعا مخادعا بارتقاء الأساليب التكنولوجية المادية أثناء انحلالها كما هو ملاحظ في الحضارات المتعطلة مثل حضارة الإسكيمو و الإسبرطيين؛ إذ أن ارتقاءهم في مواجهة التحديات باستحداث تلك الأساليب المتقدمة من الملاحة وطرائق الصيد وتنظيم الفيالق لم يحل دون تعطيل حضاراتهم أثناء هذا الارتقاء"¹.

ويقدم لنا آخر المؤرخين اليونانيين **Procopius** القيصري في حديثه عن حروب **جوستينيان** أنّ سبب كون دراسة تاريخ حروب هذا الإمبراطور أكثر أهمية من غيره راجع إلى أن الأساليب التكنولوجية الحربية المعتمدة فيها أكثر تطورا من المعدات الحربية التي سبق استخدامها في أيّ حرب مضت.

غير أنّه بالتّظر إلى فترات ارتقاء الحضارة أو انحدارها نجد أنّه كلّما تقدّم الإنسان خطوة في الأساليب التكنولوجية المادية و الحربية على الخصوص، كلّما صاحب ذلك أحداث تعمل على تدمير الحضارة، وفي اختراع الفيلق الإسبرطي خير دليل على أسباب انخيار الحضارة الهلينية، ويمكن تسمية هذا الارتقاء المادي في النزعة الحربية في عصرنا بما يصطلح على تسميته السباق نحو التسليح. وجملة القول فإن الارتقاء التكنولوجي في فن الحرب تطلّب تعطل الارتقاء الاجتماعي لما يخصص له من إيرادات ضخمة على حساب المواطنين ورفاههم.

ويصدق القول بقدرة الارتقاء التكنولوجي في فن الحروب على الفن الزراعي، الذي على العكس منه يعتبر بأصله سيّد فنون السلام، لكنّه في الفصل الثاني من تقدمه يرافقه انحدار في الحضارة كما سيبينه توينبي من خلال الحضارة الرومانية التي استغنت عن العمل على الارتقاء الاجتماعي لأفرادها في هذا الفن بالاعتماد على الأرقاء، فحيثما انتشرت المزارع التي تقوم على الأرقاء، أدّت إلى إفقار الفلاح والمالك وإقصائهما عن الأرض؛ بنفس الأسلوب الذي تطرد به العملة الرديئة العملة الجيدة، وترتبت على ذلك نتيجة اجتماعية مبنها إفقار الريف وخلق بروليتاريا طفيلية حضرية في المدن. و بصفة خاصّة في روما نفسها، ولم توفّق جهود المصلحين.. ابتداء من جراكسي **Gracchi** ومن تلاه، في تخلص العالم الروماني من هذه الورطة الاجتماعية التي زجهم فيها تطور التكنولوجيا الزراعية في نهاية ارتقائها"².

كما رأينا فإن توينبي يرى أنه لا علاقة للتقدم التقني بتقدم الحضارات أي نموها وارتقاءها، وقوانين التطور الاجتماعي ليس لها صلة مباشرة بالتقدم التكنولوجي ولا بالتوسع الجغرافي، بل لا تبدي ارتباطها بها إلا في حالات ضئيلة، وهناك حالات ظلّت الحضارات فيها في حالة سكون رغم ما شهدته من تقدم في الأساليب التكنولوجية، وهكذا يصل توينبي إلى أن قاعدة الارتقاء أو

¹- المصدر نفسه، ص324.

²- توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص328.

نمو الحضارات والتي نبحت عنها لا تكون في البيئة الخارجية سواء المادية منها أو البشرية، بل يبدو الافتقار إلى وجود تناسق الارتباط بها واضحا بعبارة توينبي.

وبقي أن نبحت الآن عن طبيعة الارتقاء في تقرير المصير أو التحول الروحي، أو بعبارة أفصح انتقال التحديات من البيئة الخارجية التي أسلفنا الفصل فيها إلى البيئة الداخلية، إلى ماهو روحي.

4-التحول الروحي كطريق للارتقاء الحضاري:

يصل ألبرت اشفيتسر في نهاية بحثه إلى أن جوهر الحضارة أخلاقي " وأنا أعلم أن تقرير الأمر على هذا النحو، أعني القول بأن مشكلة الحضارة مشكلة أخلاقية سيثير الدهشة بل والاشمئزاز في نفوس أبناء هذا العصر الذين اعتادوا التعلق بالاعتبارات التاريخية والمادية والجمالية " ¹ ولا مندوحة في اعتبار التقدم المادي ظرفا مصاحبا للحضارة، إنه بمثابة القشرة الخارجية للبناء الحضاري ولا يمثل جوهرها أي الأساس الأخلاقي والعمق الحضاري.

يذكر توينبي القارئ بملخص القسم الأول في طبيعة ارتقاء الحضارات أن التقدم التكنولوجي فشل كالتوسع الجغرافي في تزويدنا بقاعدة تفسير نمو الحضارات وارتقائها، لكنه أفادنا المبدأ بحكم ارتقاء الأساليب التكنولوجية صوب التبسيط المتتالي، ويضرب لذلك مثلا بالتقدم في المواصلات والاتصالات واللغة؛ فقد حلت الحروف اللاتينية الأنيقة محل حروف الكتابة المعقدة تعقيدا لا يعقل كالكتابة الهروغليفية والصينية، ولم يسلم من التبسيط فنّ أو علم؛ ففي علم الفلك حل النظام الكوبرنيقي محل النظام البطليموسي وزوّدنا في سهولة ويسر بحركة الأجرام السماوية.

غير أن قاعدة الارتقاء التي " لانبرح نبحت عنها والتي فشلنا في العثور عليها خلال غزونا البيئة الخارجية -سواء أكانت مادية أو بشرية- تقع أكثر ما تقع في نطاق يتسم بالتغير المتعاقب ، وفي تحول مشهد الفعل من هذا الميدان إلى ميدان آخر، قد يجد فيه فعل التحدي والاستجابة بديلا لعملياته. ولا تنبعث التحديات في هذا الميدان الآخر من الخارج، لكنها تنشأ من الداخل" ²، من الروح الإنسانية.

إذن لا يعني النجاح في التغلب على بيئة خارجية أو قهر عدو مترص انتصارا على تحد تبعته استجابة ناجحة، بل الاستجابة الناجحة تظهر نفسها في الترابط الذاتي أو تقرير المصير، الذي لا يعني إلا شيئا واحدا التحول الروحي للمدنات؛ التحول في الارتقاء من المجال المادي إلى مجال الروح، من البيئة الخارجية إلى ما هو داخلي.

غير أن كثيرا من علماء الاجتماع والفلاسفة يخالفون توينبي في أن يكون التحول الروحي هو العامل الذي يحدّد مصائر الشعوب والحضارات، ويمثل حسنين جودة هؤلاء بكلّ من لابلاي **Leplay** وديمولين **Demolin** حيث يؤكّدان على مبدأ الحتمية الجغرافية البيئية ويرون " أنه لو أعاد التاريخ نفسه فلن يتغير فيه شيء لأنه سيكون استجابة لنفس مقتضيات البيئة الطبيعية " ³، أي أن الطريق الذي سلكته الشعوب أثناء هجراتها واستقرارها ببيئات معينة هو الذي خلق الجنس والطرز الاجتماعي معا.

¹ - اشفيتسر ألبرت ، فلسفة الحضارة، تر عبد الرحمن بدوي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1963 ، ص 4.

² - توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص333.

³ - جودة، جودة حسنين، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص338.

وعلى هذا الأساس ينتقد توينبي **ديمولين** حين قرن وضع الحضارات المتعطللة بالأممودجان الألباني والهليني ، فهو في نظره قرن البربرية بالحضارة لا لشيء إلا لأنه تصادف وصولهما إلى نفس الهضبة؛ هضبة مقدونيا، مستخدما اصطلاحات التحديات لاستجابات واردة من البيئة الخارجية، ولعله السبب الذي يحاول توينبي الوقوف عليه في طبيعة الارتقاء، فاستخدام الشعبين لنفس الطريق لا يعني تماثلهما في الأشواط المقطوعة وكيفية الانطلاق ومواجهتهم نفس التحديات والارتقاء صوب الحضارة. ينتهي توينبي بعد عرض مستفيض لما أحدثته الاستجابات الناجحة للتحديات المتعاقبة إلى تفسيرها بأنها مظهر للارتقاء، شريطة أن يتجه الفعل ويتحول من ميدان البيئة الخارجية إلى الميدان الداخلي للشخصية النامية، أو الحضارة، فطالما تنمو الحضارة ويستمر ارتقاؤها " يقود ذلك إلى تناقص الركود إلى التحديات التي تولدها القوى الخارجية، والتي تتطلب استجابات على ميدان معركة خارجي، وأن يتزايد ركونها إلى التحديات التي تتيحها لذاتها هي نفسها في ميدان المعركة الداخلي. ويعني الارتقاء أن الشخصية النامية أو الحضارة، تنزع لأن تصبح بيئتها الخاصة، فضلا عن صيرورتها المتحدي لنفسها وميدان عملها ذاتها، وبكلمات أخرى فإن قاعدة الارتقاء هي التقدم اتجاه تقرير المصير. على أن التقدم تجاه تقرير المصير صيغة ركيكة لوصف المعجزة التي بواسطتها تدخل الحياة ملكوتها"¹.

ينطلق **توينبي** في عملية تحليل الارتقاء التي تنمو بفضلها الحضارات، إذ تترابط أجزاءها بفضل أفراد المجتمع الذي ينتمون إليه، أي العلاقة بين الفرد والمجتمع هي ما نبحت بواسطته عملية ارتقاء الحضارة وهناك بحسب توينبي وجهتا نظر فيما يخص هذه العلاقة.

تقول الأولى أن الفرد حقيقة واقعية، وما المجتمع سوى حشد من الذرات الفردية.

وتقول الثانية المجتمع هو الكل المتكامل وهو الحقيقة، وما الفرد إلا جزء من ذلك الكل لا يفهم وغير موجود خارج نطاق المجتمع.

ويثبت **توينبي** أن كلا الرأيين لا يصمد أمام الاختبار، فيدعو إلى تصور ثالث وهو أن نتمعن في العلاقة التي تربط الأفراد والمجتمعات بعضهم ببعض.

ويستطرد توينبي في شرح الموقفين؛ أما الموقف الأول الذي يقضي بحقيقة الفرد ذاته في الوصف الذي اقتبسه أفلاطون، حيث لكل قانون يطبقه على من يليه، وحاكم لا يلقي بالا إلى نظرائه، فكرة ذرية الحياة لا تتحقق إلا في عالم المثل، أما الواقع فينفي وجود إنسان عاش على غرار **السيكلوبس** العمال المهرة الذين يتولون صنع أسلحة الآلهة وإنجاز الأعمال العظيمة، وليس في واقعنا غير البشر العاديين، فالإنسان بطبعه حيوان اجتماعي.

أما النظرة الثانية التي تجعل الإنسان جزء من كل، مثله مثل جماعات النمل والنحل ، حيث يصرف الفرد عمله إلى الكل ويلقى حثفه في حال انفصاله عن الكل فقد أثبتت العلوم التجريبية والاجتماعية أن ثمة مستعمرات مثل الشعاب المرجانية تعيش عيشة فردية ، لكنها تتصل ببعضها اتصالا عضويا ينفي وجود حياة للفرد في نفي الحياة عن الآخرين، ويفيد علم التشريح أن

¹ - توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص348.

الإنسان وهو نمط الفردية الأولى قد شيد على عدد من الوحدات أو الخلايا، التي يتمتع البعض منها باستقلال كبير، وبالأحرى فإن هذا العالم العضوي يكون في مجموعه فردا واحدا ضخما.

يخلص توينبي إلى أن " المجتمع هو حسيلة العلاقات بين الأفراد. وتبرز هذه العلاقات من بين ثنايا تطابق أفعالهم الشخصية. و يوحد هذا التطابق الميادين الشخصية في نطاق أرض مشتركة، وهذه الأرض المشتركة هي ما ندعوه بالمجتمع"¹. وبناء على هذا تنبعث نتيجة هامة و واضحة مدارها أن المجتمع هو ميدان الفعل الذي مصدره أفراد ينتمون إليه. " ولهذا كل إنسان/مجتمع يبني مجتمعه، وينتج ثقافته على النحو الخاص به زمانا ومكانا، ويكتسب خصوصيته من إطاره الإيكولوجي ومحيطه العقلي ونهجه في الحوار وفي التعامل...ومن ثم تعدد المجتمعات. وتنوع الثقافات على مدى الزمان في إطار الشروط الوجودية"².

ومن العجيب أن التجارب الفكرية والروحية للمجتمعات والتي تتيح لها تقدما اجتماعيا وقفزة إلى الامام، لا تتم دائما إلا على يد شخص واحد، هؤلاء الأفراد الذين يدفعون بالمجتمع سيرا إلى الامام هم عبارة بالمعنى الحرفي للكلمة، وأعظم من كونهم رجالا عاديين، وجدوا تحت سطوة العشق الصوفي ليوجهوا البشرية بوجه عام نحو خلق جديد.

إن مثل هذه النفوس القدسية كانت عبر التاريخ هي التي حطمت لتك الحلقة المفرغة للحياة الاجتماعية البدائية، وهي التي تخلق عملية الإبداع، هي التي تحدث ذلك الترابط الذاتي للكائنات البشرية، فتغدو في إنجاز أعمال الابتداء في ميدان الفعل الخارجي وجميع أسباب ارتقاء المجتمعات البشرية.

وهذه " التجربة الباطنية تقتضي من الناس أن يجمعوا بين الوعي والكرم والقدرة على الارتقاء من مستوى 'الأنا' إلى مستوى 'الجماعة' ومن مستوى 'الذات' إلى مستوى 'الغير'، ومن ثم ميلاد وانتشار أنثروبولوجيا جديدة"³.

يدعم توينبي هاهنا رأيه بإشادة برغسون بذوي النزعات الصوفية وأنهم بأصلهم العبقرية المبدعة، وأن فعل الإبداع مناطه لحظة قدسية تتم خلالها تلك التجربة الروحية، لحظة تكون تعقبها لحظة تدفق الحقيقة التي تكيف الكائنات البشرية وفق مشيئة الله تعالى، ويفسر هذا التناقض في السكون والحركة والانسحاب والعودة بأنه حركة مزدوجة من الاعتكاف بغية الاستنارة والعودة من أجل تشكيل الجماعة، وتحويلهم إلى رفاق مبدعين " ويتطلب التبدل الخلقى الذي اتخذ سبيله في عالم الإنسان الباطني تعديلا مطابقا في عالم الكون، قبل أن يغدو إما تاما أو في أمان، لكن الفرض السابق عن عالم الكون للشخصية المتشكلة، هو كذلك عالم كون رفاقه غير المتشككين، وسيترتب على قصورهم الذاتي، مقاومة جهده لتحويل عالم الكون ليتفق مع التغيير الطارئ عليه. وسيتجه هذا القصور الذاتي إلى جعل الكون يتناسق مع أشخاصهم أنفسهم، بوساطة المحافظة عليه كما هي"⁴ وإذا ما وفقت تلك الشخصيات العظام في التغلب على القصور الذاتي و الخصومة الحادة، ونجح في تشكيل الوسط الاجتماعي مع تشكله

¹ - المصدر نفسه، ص354.

² - كاريدرس مايكل، الثقافات البشرية، تر شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص09.

³ - بيلت جان ماري، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، تر محمد عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الإعلام، الكويت، 1994، ص 224.

⁴ - توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص356.

هو ذاته، هاهنا تصبح الحياة للرجال والنساء العاديين لا تحتل إلا بتكليف أنفسهم مع الوسط الجديد الذي فرضته عليهم تلك العبقرية القوية المبدعة.

يستشهد توينبي على ذلك بقول المسيح عليه السلام "لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل سيفاً"، ولا ينفي هذا استعادة التوازن الاجتماعي بعد هذا الدفع العبقري إلى اختلال النظام، ويتم هذا بإحداث دفعات منتظمة في القوة والاتجاه من قبل أعضاء المجتمع كل بمفرده، فيكفل الارتقاء من غير ضغط أو إكراه، فإنه قلما لا تحدث استجابات حقيقية وكاملة عندما تلوح في الأفق فكرة دينية أو علمية، والتي تتخذ صورتها في عقول الأشخاص الملهمين.

و جميع أفعال الإبداع الاجتماعي يصرح توينبي أنها إما أن تكون نتيجة لعمل فرد عبقري أو "أقليات عبقرية، وتحلف وراءها في كلتا الحالتين أكثرية أعضاء المجتمع الغالبة، ومصداقاً لذلك؛ إذا ما ألقينا نظرة على الهيئات الدينية الكبرى المنتشرة في العالم في الوقت الحاضر: المسيحية والإسلام والهندوكية، سنجد أن الجمهرة العظمى من المنتسبين إليها مهما يكن من أمر إعلائهم شأن العقائد التي يؤدون فرائضها- ماتزال تعيش في نطاق ذهني لا يبعد عن كونه من ناحية اتصاله بالدين وثنية مجردة"¹.

وبناء على التحليل السابق فإن عملية الارتقاء الحضاري و كما يظهر في تاريخ عدد من المجتمعات على الأقل، فإن استطلاعات الحضارة هي من نتاج الأقلية المبدعة التي تحمل هم الجماعة التي تنتمي إليها والعاطلة عن الإبداع، فتعمل على حمل هؤلاء المتخلفين عن ركب الحضارة على السير معهم قدماً أثناء تقدمهم المثير.

و أجمل من هذا عبارة مالك بن نبي في وصفه لهذا المشهد الذي يرسم ذاك التحول في النفوس "ومما هو جدير بالاعتبار أن هذه الوثبة لم تكن من صنع السياسيين ولا العلماء الفطاحل، بل كانت بين أناس يتسمون بالبساطة.. غير أن أنظارهم توجهت في تلك اللحظات إلى ما وراء أفق الأرض أو إلى ما وراء الأفق القريب، فتجلت لهم آيات في أنفسهم، وتراءت لهم أنوارها في الآفاق"².

ثم ينتقل توينبي إلى السؤال حول الكيفية التي استطاع بها هؤلاء تحطيم تلك الدوغمائية، وكيف حمت نفسها من الهزيمة الاجتماعية، ويوجب عنه بأنه بفضل المحاكاة التي تتطلب تدريباً للأنفس أكثر مما تحتويه من الإلهام يتهياً بعدها الانجذاب نحو الارتقاء المطلوب، وعن طريق الاعتزال ثم العودة التي تستعرض نفسها في حياة الأنبياء والرسل، منهم عيسى عليه السلام والقديس بولس، بنديكت، جريجوري الكبير، وغيرهم إلى أن يصل توينبي إلى محمد صلى الله عليه وسلم الذي من خلال أمودجه يمكننا أن نرى كيف ارتقت الحضارة العربية على يديه وتخلصت من التأثيرات الثقافية القوية التي كانت تعاصرها، إلى درجة أن تاريخ شبه الجزيرة العربية كان مرتبطاً بهذه الشخصية التي أخرجته من حالة السكون إلى ارتقاء حضاري بلغ في مداه ما لم تبلغه حضارة إلى اليوم.

وهكذا يرتبط تحليل توينبي لنمو الحضارات باعتقاده "أن الإنسان قد حقق عملاً يدل على البراعة حين تغلب على التحديات المادية والبيئية وصنع الحضارة، غير أنه إذا كان لهذه الحضارة أن تستمر فقد كان عليها أن تنمو من تحدي إلى استجابة

¹ - توينبي أرنولد، مصدر سابق، ص 358.

² - بن نبي مالك، مرجع سابق، ص 51.

إلى تحدي جديد، كما كان لا بد من المحافظة على الروح الخلاقة التي صنعت الحضارة إذا ما أرادت أن تواصل مسيرتها وتتفادى التوقف¹، لكن بين المحافظة على روح الإبداع التي تسمح للحضارة بالاستمرار، والتحديات الحالية من التوسط التي تطرأ على الحضارات جميعها فتصل بها إلى حافة الانهيار تبقى الروح الإنسانية بما تحمله من روح التحدي هي الفيصل والحائل دون تحلل الحضارة فضلا عن انهيارها، و هي صمام الأمان التي تقف كمانع لتفادي مثل هذا السقوط .

5. خاتمة:

- إن توينبي يرى أنه لا علاقة للتقدم التقني بتقدم الحضارات أي نموها وارتقاءها، وقوانين التطور الاجتماعي ليس لها صلة مباشرة بالتقدم التكنولوجي ولا بالتوسع الجغرافي، بل لا تبدي ارتباطها بها إلا في حالات ضئيلة .
- هناك حالات ظلت الحضارات فيها في حالة سكون رغم ما شهدته من تقدم في الأساليب التكنولوجية.
- يصل توينبي إلى أن قاعدة الارتقاء أو نمو الحضارات والتي نبحث عنها لا تكون في البيئة الخارجية سواء المادية منها أو البشرية، بل يبدو الافتقار إلى وجود تناسب الارتباط بها واضحا بعبارة توينبي.
- إن طبيعة الارتقاء في تقرير المصير أو التحول الروحي، أو بعبارة أفصح انتقال التحديات من البيئة الخارجية التي أسلفنا الفصل فيها إلى البيئة الداخلية، إلى ماهو روحي.
- عملية الارتقاء الحضاري و كما يظهر في تاريخ عدد من المجتمعات على الأقل و استطلاعات الحضارة هي من نتاج الأقلية المبدعة التي تحمل هم الجماعة التي تنتمي إليها والعاطلة عن الإبداع، فتعمل على حمل هؤلاء المتخلفين عن ركب الحضارة على السير معهم قدما أثناء تقدمهم المثير.
- التجارب الفكرية والروحية للمجتمعات هي التي تتيح لها تقدما اجتماعيا وقفزة إلى الأمام، ولا تتم دائما إلا على يد شخص واحد، هؤلاء الأفراد الذين يدفعون بالمجتمع سيرا إلى الأمام هم عباقرة بالمعنى الحرفي للكلمة، وأعظم من كونهم رجالا عاديين، وجدوا ليوجهوا البشرية بوجه عام نحو خلق جديد.
- الأقلية المبدعة عبر التاريخ هي التي حطمت تلك الحلقة المفرغة للحياة الاجتماعية البدائية، وهي التي تخلق عملية الإبداع، كما أنها تحدث ذلك الترابط الذاتي للكائنات البشرية، فتغدو في إنجاز أعمال الابتداء في ميدان الفعل الخارجي وجميع أسباب ارتقاء المجتمعات البشرية.

¹ - شليبي السيد أمين، نظرات في أرنولد توينبي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص55.

قائمة المراجع:

- 1- برودويل فرناند، تاريخ وقواعد الحضارات، تر حسين شريف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.
- 2- بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، 1986.
- 3- بيلت جان ماري، عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، ترجمة محمد عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والإعلام، الكويت، 1994.
- 4- تويني أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ترجمة فؤاد شبل محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- 5- جودة، جودة حسنين، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1986.
- 6- صبحي أحمد محمود، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- 7- غارودي روجيه حفارو القبور، ط3، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، 2002.
- 8- سكينر ب-ف، تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة عبد القادر يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1980.
- 9- اشفيتسر ألبرت، فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مطبعة مصر، القاهرة، 1963.
- 10- شلبي السيد أمين، نظرات في أرنولد تويني، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، 2000.
- 11- كاريندرس مايكل، الثقافات البشرية، ترجمة شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- 12- معلوف أمين، غرق الحضارات، ط1، ترجمة نهلة بيضون، دار الفارابي، بيروت، 2019.
- 13-Bernard Billandot, société économie et civilisation, EMSHA, paris nord, 2021, p563.